ماهية الدين الاسلامى وحقيقته

للأستاذ محمد شوقى الفنجرى

المفوض بمجلس الدولة

يكثر التساؤل عن ماهية الدين وحقيقه العبادة ، وبعبارة أخرى هل يقتصر الأمر على مجرد الصلاة والصيام والحج وإيتاء الزكاة ، أم أن هذه هى المظهر الخارجى للدين ، وهى بعض صور التدين الذى هو فى حقيقته أعمق من ذلك بكثير .

وإذ نقلب بين صفحات القرآن والسنة ، نجد أن دعوة الإسلام الأولى هى إلى العلم والتعلم ، فهى أولى مراتب العبادة ، فيقول الله تعالى (شهد الله أنه لا اله إلا هو وأولو العلم قائما بالقسط) ، (يرفع الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات) ، (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) ، (إنما يخشى الله من عباده العلماء) ، (وقل ربى زدنى علما)

ومن ثم فقد كان الرسول يقول (طلب العلم عند الله أفضل من الصلاة والصيام والحج والجهاد فى سبيل الله عزوجل) ، (الغدو والرواح فى طلب العلم أفضل عند الله من الجهاد فى سبيل الله) ، (من خرج فى طلب العلم كان فى سبيل الله حتى يرجع) . ولاعجب إذ جعل الرسول العلم مقارنا لدرجه النبوة (العلماء ورثة الأنبياء) (فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم) . وكان الرسول يردد (إذا أتى على يوم لا أزداد فيه علما يقربنى إلى الله عز وجل فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم) وقد قيل فى الأثر (خير سليمان بين المال والملك والعلم ، فاختار العلم ، فاعطى الملك والمال) .

وطلب العلم كعبادة على هذا النحو والمقصود به سائر ضروب العلم مما يهم الإنسان فى حياته سواء ما تعلق منه بالعبادة أو بالمعاملة . . . الخ ، هو

باعتباره طريق الايمان والحق والفلاح إذ يقول الرسول (لكل شيء طريق وطريق الجنة العلم) ، ومن ثم فإن قيمته هي بقدر نفعه والعمل به ، فيقول الرسول (تعلموا من العلم ماشئتم ، فوالله لا تؤجرون بجمع العلم حتى تعملوا) ، (لمداد جرت به أقلام العلماء خير من دماء الشهداء في سبيل الله) (عالم ينتفع به خير من ألف عابد) ، (إذا مات بن آدم ، إنقطع عمله إلا من ثلاث ، صدقه جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) ، (العالم والعلم والعمل في الجنة فإذا لم يعمل العالم بما يعلم كان العلم والعمل في الجنة وكان العالم في النار) ، (ويل لمن لا يعلم ، وويل لمن علم ثم لا يعمل) ، (أشد الناس حسرة يوم القيامة رجل أمكنه طلب العلم في الدنيا فلم يطلبه ورجل علم علما فانتفع به من سمعه منه دونه) .

* * *

نخلص مما تقدم إلى أن المرتبة الأولى في العبادة هي في العلم والمعرفة إذ (الحكمة ضالة المؤمن) ، يليها في المرتبه الثانيه ، الجهاد من أجل الرزق وطلب الحلال ابتغاء وجه الله ، فيقول الله تعالى (فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له) ، (فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه) ، (فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله) ، (ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنه) ، — (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون) ، (ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه ، إن الله غني عن العالمين) ،

ويقول الرسول (باكروا في طلب الرزق والحوائج) ، (رهبانية الإسلام الجهاد) ، (ليس الجهاد أن يضرب الرجل بسيفه في سبيل الله ، إنما الجهاد من عال ولديه وعال ولده فهو في جهاد ومن عال نفسه فكفها عن الناس فهو في جهاد) ، (إن من الذنوب ذنوبا لا تكفرها الصلاة ولا الصيام ولا الحج ولا العمرة ، ولكن تكفرها هموم في طلب المعيشة) ، (خيركم من لم يترك آخرته لدنياه ، ولا دنياه لآخرته ولم يكن كلا على الناس) ، (لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يغدو إلى الجبل فيأتي بحزمة حطب فيبيعها فيكف الله بها وجهه ، خير له أن يسأل الناس اعطوه أو منعوه) .

وإذا كان السعى والكفاح من أجل الرزق ، هو من أظهر صور العبادة ، فإن قيمة المرء عند ربه بقدر التماسة لا وجه الخير واخلاصه لعمله واتقانه ، فالله تعالى يقول (يأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه) ، ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات) ، (وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فى ما آتاكم) ، وعدالله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم) ، (قل ياقوم اعملوا على مكانتكم إنى عامل فسوف تعلمون) ، (وقل إعملوا فيسرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) (واعملوا صالحا ، إنى بما تعملون بصير) (إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا)

ويقول الرسول (إن الله يحب المتقن فى عمله) ، (إن الله جميل يحب الجمال) ، (إن الله يحب معالى الأمور ويكره سفاسفها) اصلحوا دنياكم واعملوا لآخرتكم) ، (إن الدنيا خضرة حلوة ، وإن الله مستخلفكم فيها) ، (اطلبوا الحوائج بعزة الأنفس (إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع)

* * *

ولما كان الإنسان يعيش فى مجتمع وهو فى كفاحه للحياة التى سخره تعالى لعباده ، إنما يحتك بالناس ، وقد تتضارب المصالح ، فإن الدين المعاملة ، وفى ذلك يقول الله تعالى (إنما المؤمنون إخوة .) ، وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الأثم والعدوان) ، والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر) ، (قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى حليم) ، (ويسالونك ماذا ينفقون ، قل العفو) (اتقوا الله وقولوا قول سديدا) ، (وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى) (وقولوا للناس حسنا) ، (وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن) ، (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) ، (ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور) ، (ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم) .:(للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) . يتبع